

اللقاء الرابع: الأسرار السبعة

كلمة الله: السبعة الأرغفة الأعجوبية (مرقس ٨: ١-٩)

"حدث في تلك الأيام: انه كان جمعٌ كثير، ولم يكن لهم ما يأكلون. فدعا يسوع تلاميذه وقال لهم: أني أتحنن على الجمع، لأن لهم معي ثلاثة أيام وليس لهم ما يأكلون. وان صرفتهم الى منازلهم صائمين يخورون في الطريق، لأن منهم من جاءوا من بعيد. فأجابته تلاميذه: كيف يقدر أحد أن يشبع هؤلاء خبزاً، ههنا في البرية؟ فسألهم: كم عندكم من الخبز؟ فقالوا: سبعة. فأمر الجمع أن يتكئ على الأرض، ثم أخذ السبعة الأرغفة، وشكر وكسر وأعطى تلاميذه لكي يقدموا، فقدموا للجمع، وكان عددهم يسير من السمك، فشكر وأمر بأن يقدموا ذلك أيضاً فأكلوا وشبعوا ورفعوا ما فضل من الكسر سبع سلال. وكان الأكلون نحو أربعة الآلاف. ثم صرفهم".

التعليم

١. وسائل الحصول على النعمة

يسوع أعاد الينا النعمة اليت كنا قد فقدناها بالخطيئة الأصلية، اذ استحقها لنا بحياته وأعماله وآلامه وموته. وكل النفوس تستطيع الحصول على النعمة. اذا استقتها من يسوع نفسه. لكن كيف يوزع يسوع النعمة على النفوس؟. أنه قبل أن يغادر هذه الأرض ليصعد الى السماء وكل الى رسله أن يوزعوا النعمة على الجميع البشر، على مدى الأجيال. النعمة لا تدخل في نفس الانسان بنوع منظور، بل بنوع سري غير منظور، لأنها عطية فائقة الطبيعة وليست عطية مادية. على أنه لا بد للانسان الذي يحصل على النعمة في نفسه. من علامة خارجية، ليتأكد له حصوله عليها، كما أن الأم لا تستطيع أن تتحقق حب ابنها لها، اذا كان لا يقدم لها أبداً علامة خارجية لحبه. ومن أجل ذلك وضع يسوع لنا "علامات خارجية" أو "وسائل" تعطي نفوسنا النعمة. هذه الوسائل هي الاسرار.

٢. الاسرار علامات تُحدث النعمة

الاسرار السبعة يُرمز اليها بالأرغفة السبعة، اليت بها أشبع يسوع الجموع الجائعة هذه الاسرار تعطي النفس النعمة: والنعمة خبز النفس.

يسوع وضع الأسرار جميعها، لأنه ليس من أحد يستطيع أن يفعل ذلك، سوى يسوع. فمن حيث أنه استحق لنا النعمة، فهو وحده يستطيع أن يعطينا اياها. وكما أن الينبوع وحده يستطيع أن يعطينا الماء، كذلك الله وحده يستطيع أن يعطي البشر حياة والنعمة هي الحياة الالهية المزعة على النفوس.

وقد أنشأ يسوع الأسرار بشكل علامات حسية. فهي تحتوي على عنصر محسوس، يمكن حواسنا _ النظر والسمع واللمس_ أن تراه وتسمعه وتلمسه. هذه العلامات مناسبة جداً، وهي تمثل رمزي العمل الذي يفعله السر في نفوسنا. فالمعمودية مثلاً تُعطي بشكل غسل، لأنها تغسل النفس من الخطيئة الاصلية ومن الخطايا الفعلية

أيضاً ان وجدت. وتجميلها وتطهرها. وكذلك تفعل الأسرار الاخرى، كما سترى في الدروس التالية.

يجب أن نفرق بين العلامات البسيطة المجردة _ التي هي رمز فقط _ والعلامات الفعالة التي توجد النعمة في النفس. واليك مثلاً على ذلك:

المعمودية كما قلنا تغسل النفوس من الخطيئة الاصلية والفعلية. ويوحنا المعمدان كان يعتمد بالماء، وغير أن معموديته لم تكن تُحدث النعمة، لأنها لم يكن لها مفعول في النفس، سوى تحريكها على التخشع والندامة. اليت بها تُنال مغفرة الخطايا. أما الأسرار التي أنشأها الرب يسوع في علامات فعالة. لأنها تمثل النعمة فقط، بل توجد حقيقتاً في النفس التي تقبلها. ألا يوجد فرق بين شيك (حوالة مالية) مسحوب على أحد المصارف، بمبلغ الف دينار، يوقع عليه رجل فقير لا يمكن بضعة قروش، بمبلغ خمسين ألف دينار أو أكثر؟ لا شك أن هناك فرقاً عظيماً. فالشيك الذي وقع عليه الرجل الفقير، انما هو صورة للمبلغ فقط، وليس له قيمة، ولذا لا يقبله المصرف. أما الشيك الذي وقع عليه التاجر. فانه حقيقي ويقبله المصرف، لأن توقيع التاجر صاحب الأموال المودعة في المصرف. له اعتبار خاص، وقيمتة تساوي المبلغ المودع.

٣. الأسرار سبعة

الأسرار سبعة: المعمودية، المودين (أو التثبيت)، القربان الأقدس، التوبة (الاعتراف)، مسحة المرضى، الكهنوت، الزواج. وانها لتناسب شرائع الحياة الروحية، التي تشبه حياة الانسان الطبيعية، كما سيتضح لك ذلك مما يلي:

كما يولد الانسان للحياة الجسدية، كذلك تولد النفس للحياة الروحية في المعمودية، التي تعطي النفس النعمة لأول مرة. ثم أن حياة الطفل تنمو وتشتد كلما تقدم في السن. وكذلك الميرون يقوي النعمة وينمها في النفس. الولد يحتاج أيضاً الى غذاء لكي يُحفظ في الوجود ويتقوى، وكذلك النعمة تتغذى وتنمو على الدوام بالقربان الأقدس الذي هو طعام الهي. الانسان يضعف ويمرض، وبسبب ذلك يحتاج

الى طبيب يعالجه والى أدوية يتناولها. وها أن في الاعتراف طبيباً روحياً وعلاجاً فائق الطبيعة والنفس، التي قد تكون موتاً روحياً بارتكابها الخطيئة المميتة.

عندما يبلغ الانسان نهاية حياته الأرضية، يحتاج الى الاسعاف والتعزية: وكذلك الانسان يحتاج بوجه عام الى تكوين أسرة له، وها أن الزواج يقدس الزوجين ويساعدهما مساعدة خاصة، لكي يربيا أولادهما تربية صالحة، وأخيراً يحتاج الانسان في حياته الاجتماعية الى أشخاص يرئسون المجتمع. وكذلك سر الكهنوت يكرس أشخاصاً قادرين على ترأس المجتمع الروحي.

٤. مادة الأسرار وصورتها وخدمتها

لا بد من ثلاثة عناصر مجتمعة معًا، لتكوين أيّ سر من أسرار الكنيسة السبعة. هذه العناصر هي: (١) شئ محسوس نسميه المادة. (٢) كلمات يُنطق بها في حين استعمال المادة. وهذه تُعرف بالصورة (٣) شخص يُتم السر باسم السيد المسيح وبسلطته. وهو خادم السر. هذه العناصر الثلاثة لا غنى عنها مطلقًا لتكوين السر، وإذا نقص أحدها فلا يوجد سرّ.

٥. الوسم الذي بطبعه السر

بعض الاسرار تطبع في النفس علامة روحية لا يمكن محوها، تُعرف بالوسم هذا الوسم ينطبع انطباعًا عميقًا في نفس الانسان. بنوع أنه يميزه دائمًا عن غيره، حتى لو هجر الدين وفقد الايمان المسيح. أما الأسرار التي تطبع في النفس وسمًا فهي ثلاثة: المعمودية التي تجعلنا مسيحين، والميرون (التثبيت) الذي يصيرنا جنودًا للمسيح، والكهنوت الذي يكرّس الكهنة خدامًا للمسيح. فاذا صرنا مرةً مسيحين نبقى دائمًا مسيحين. واذا صرنا مرةً جنودًا للمسيح فنحن على الدوام كذلك. ومن يُرسم مرة كاهنًا، يستمر الى الأبد. هذا الوسم الطبوع في نفوسنا بنوع غير قابل المحو. يرافقنا الى السماء والى جهنم.

٦. أسرار الموتى وأسرار الأحياء:

لقد بيّنا كيف أن الأسرار توجد النعمة في النفس. والآن تقول أن سرين من السبعة، يعطيان النفس النعمة اذا كانت خالية منها: هذان هما المعمودية، التي تمنح النعمة لأول مرة، والاعتراف، الذي يُرد النعمة في حال فقدانها. ويدعى هذان السر أن سري الموتى؛ لأنهما يُحيان النفس التي كانت مائتة عن النعمة. بارتكاب الخطايا المميتة.

أما الأسرار الخمس الباقية (التثبيت، القربان الأقدس، مسحة المرضى، الكهنوت، الزواج) فتُمنح للنفس الحية بالنعمة، أي الخالية من الخطيئة المميتة، فتُنمي النعمة وتزيدها في تلك النفس، التي كانت حيّةً بها من قبل. لهذا السبب تدعى هذه الأسرار الخمسة أسرار الأحياء.

موجز التعليم

يسوع استحق لنا بألامه وموته، النعمة التي فقدناها بالخطيئة الأصلية، وقد وكل الى رسله أن يوزعوا النعمة على البشر مدى الأجيال.

النعمة عطية فائقة الطبيعة، ولذلك تدخل في نفس الانسان، بنوع سري غير منظور ولكي يتأكد الانسان من حصوله على النعمة، وضع لها السيد المسيح علامات خارجية، أي الأسرار، التي هي في الوقت نفسه وسائل للحصول على النعمة.

- يسوع وحده يستطيع أن يعطينا النعمة، لأنه وحده استحقا لنا. النعمة هي الحياة الالهية الموزعة على النفوس.

انشأ يسوع الاسرار، بشكل علامات حسية، تمثل ينبوع رمزي، العمل الذي تعمله الأسرار في نفوسنا، أي اعطاءنا النعمة.

الأسرار علامات فعالة، لأنها لا تمثل النعمة فقط، بل توجدنا فعلا اي نفوسنا.

- الأسرار السبعة: المعمودية، التثبيت، القربان الأقدس، الاعتراف، مسحة المرضى، الكهنوت، الزواج. وهي تناسب شرائع الحياة الروحية، التي تشبه حياة الانسان الطبيعية. فكما ان الانسان يولد أولاً، ثم ينمو ويشتد، ويحتاج الى غذاء، واذا مرض يذهب الى الطبيب ويتناول الأدوية التي يصفها له، ولدى اقتراب الموت يحتاج الى اسعاف تعزية، كما أنه يرغب في تكوين اسرة له: وبما أنه يعيش في المجتمع، فيحتاج الى رؤساء يديرون المجتمع_ كذلك الأسرار، تسد جميع احتياجات الحياة الروحية.

- يتكون كل سر من ثلاثة عناصر مجتمعة معاً (١) المادة (ثنى يقع تحت الحواس)، (ب) الصورة (الكلمات التي ينطق بها حين استعمال المادة. ج) خادم السر (أي الشخص الذي يتم السر) واذا نقص أحد هذه العناصر الثلاثة، فليس هنالك من سر.

- ثلاثة اسرار، أي المعمودية والتثبيت والكهنوت، تطبع في النفس علامة روحية لا تمحى، تعرف بالوسم. هذا الوسم يميز المسيحي عن غيره، ويرافقه الى السماء أو الى جهنم.

- الأسرار قسمان: أسرار الموتى (المعمودية والتوبة)، وهي تدعى كذلك لأنها تفتح للنفس المائتة عن النعمة أي الحالية منها، فتعطيها اياها لأول مرة أو تعيدها اليها.

وأسرار الأحياء، (الخمس الباقية). تمنح النفس الحية بالنعمة، فتزيدها فيها.

الفائدة العلمية للحياة_ هذا الدرس يلقتنا أمثلة حياة علمية، هي وجوب تقدير الاسرار حق قدرها، وفهم قيمتها السامية اليت كثيراً ما ننساها. فالاسرار تنتج لنا النعمة التي تحي نفوسنا: ومن ثم انت حي بحياة الله، ما دمت تشترك في الاسرار المقدسة، وبدونها لا تستطيع نفسك أن تعيش، وأننا لنلحق حيقاً بيسوع اذا كنا ننظر الى الاسرار كنظرنا الى أية حفلة دينية أخرى، لأن قيمة الاسرار تفوق قيمة الحفلات الدينية الأخرى بنوع يحل عن كل وصف. الافكرن في معموديتك وتثبيتك واعترافاتك وتناولاتك، فتفهم منها الرب طبيًا نحوك ومعتنيًا بنفسك غاية العناية.

خلاص التعليم بالاسئلة

لم كثر يسوع الخبز والسمك في البرية؟ ماذا فعل بالسبعة الأرغفة والسمكات؟ كيف أعاد لنا يسوع النعمة المفقودة؟ الى من وكل يسوع توزيع النعمة؟ لماذا لا تدخل النعمة في النفس بنوع منظور؟ ما هي العلامات الخارجية

اليت بها يتأكد لنا حصولنا على النعمة؟ الى أي شئترمز الأربعة السبعة، ولماذا؟ لم نقول أن يسوع وحده وضع على جميع الأسرار؟ لماذا تنشأ يسوع الأسرار بشكل علامات حياة؟ كيف تمثل الاسرار العمل الداخلي الذي تفعله في نفوسنا؟ ما الفرق بين العلامات البسيطة المجردة والعلامات الفعالة؟ اضرب مثلا على ذلك.

سم الاسرار السبعة، في أي شئ تشبه الحياة الروحية حياة الانسان الطبيعية؟ ما هي العناصر الثلاثة التي يتركب منها السر؟ ما هي الأسرار التي تطبع في النفس وسمًا؟ اشرح معنى "اسرار الموتى" و "اسرار الأحياء".

الاستظهار: من التعليم المسيحي

١. ما هو السر؟ السر هو علامة محسوسة تُحدث فينا النعمة، وضعها يسوع المسيح لتقديس نفوسنا.
٢. لماذا نقول السر علامة تحدث فينا النعمة؟ نقول ان السر علامة تُحدث فينا النعمة. لأنه لا يدل على النعمة فقط، بل يمنحنا إياها فعلاً.
٣. ماذا يُقتضي لتكوين السر؟ يقتضي لتكوين السر
(١) المادة، كالماء في المعمودية
(٢) الصورة، وهي الكلمات التي يتلوها مانح السر
(٣) خادم السر، أي الشخص الذي يمنح السر.
٤. كم سرًا وضع يسوع المسيح؟
وضع يسوع المسيح سبعة أسرار وهي: (١) المعمودية (٢) التثبيت (٣) القربان الاقدس (٤) التوبة (٥) مسحة المرضى (٦) درجة الكهنوت (٧) الزواج.
٥. كم قسمًا تقسم الأسرار؟ تقسم الأسرار قسمين: اسرار الموتى، وأسرار الأحياء.
٦. ما هي أسرار الموتى، وما هي اسرار الأحياء؟ أسرار الموتى هي: المعمودية والتوبة. وأسرار الأحياء هي الباقية.
٧. لماذا نقول أن المعمودية والتوبة هما سرًا الموتى؟ نقول أن المعمودية والتوبة هما سرًا الموتى: لأنهما يمنحان النفس الميتة بالخطيئة، النعمة التي هي حياتها.
٨. لماذا ندعو باقي الأسرار، أسرار الأحياء؟ ندعو باقي الاسرار، أسرار الأحياء، لأنها تزيد النعمة في النفوس. ومن ثم فمن يقبلها يجب عليه أن يكون حياً بها.

٩. ما هما السران الأكثر ضرورة للخلاص؟ السران الأكثر ضرورة للخلاص هما: المعمودية والتوبة، فالمعمودية ضرورة للجميع، وسر التوبة ضروري لكل من ارتكب الخطيئة المميتة بعد المعمودية.
١٠. ما هو المفعول الخاص ببعض الأسرار؟ المفعول الخاص ببعض الأسرار هو "الوسم" أي علامة في النفس لا يمكن محوها.
١١. ما هو مفعول هذا الوسم؟ مفعول هذا الوسم هو حالة فائقة الطبيعة، ثابتة في النفس، ينتج من ذلك أن تلك الأسرار لا يجوز قبولها مرة أخرى.
١٢. ما هي الأسرار التي ذلك الوسم؟ الأسرار التي تعطي ذلك الوسم هي: "المعمودية" التي تطبع فينا وسم جنود المسيح، "والكهنوت" الذي يطبع فينا وسم كهنة الله.

من أقوال الكتاب المقدس

"تستقون المياه من ينابيع الخلاص مبتهجين" (اشعيا: ١٢، ٣). ينابيع الخلاص هي اسرار الكنيسة السبع.

من أقوال المجمع التريدينيني المقدس

"الاسرار كلها وضعها يسوع المسيح" (الجلسة السابعة).

- ١_ لدفتر الدين (المجهود الشخصي) _ ١_ السبعة الأربعة التي قدمها الرسل ليسوع، تشير الى الأسرار السبعة التي وضعها هو نفسه، لاشباع النفوس الجائعة الى الله. فضع انت رسمًا يمثل ذلك مع شرح مناسب.
- ٢_ أية صورة يمكنك أن تستعمل في الرسم، لتدل على أن الأسرار علامات محسوسة، لها علاقة بحواس السمع والنظر واللمس؟ وأية تشابهه أخرى تستعمل لتدل على أن الأسرار علامات تحدث النعمة من حيث هي تمثلها بل توجدها حقيقة؟ ولكن يجب أن تقترن رسومك بشروح مناسبة.
- ٣_ لقد قايسنا هذا الدرس بين الأسرار وحياة الانسان الطبيعية أي: الولادة والنمو والطعام والدواء والتقوية وتكوين الأسرة والحاجة الى السلطة. فهل لك أن تحاول تصوير هذه المقاييسات برسوم صغيرة مشروحة، على حسب مقدرتك؟
- ٤_ اكتب في دفترك اسماء الاسرار التي قبلتها الى الآن، واذكر على قدر الامكان تاريخ قبولك كل منها، والكنيسة التي قبلت فيها تلك الأسرار.

للمطالعة

الصلاة والأسرار

من الثابت الأكيد أن الانسان لا يستطيع أن يخلص نفسه بدون نعمة الله. ولكن كيف يمكنه الحصول على النعمة؟ لقد وضع الله تحت تصرفنا وسيلتين، لنحصل بهما على النعمة، وهما: الصلاة وقبول الاسرار، فالصلاة تطلب لنا النعمة والأسرار تعطينا اياها. الصلاة مفتاح النعمة أو الباب الذي منه ندخل على النعمة، أما الأسرار فهي الألفية التي تجري فيها النعمة لنصل الى نفوسنا.

لكلمة "سر" معان كثيرة: فيراد به شئ حقي أو شئ مقدس أو تعليم غامض، وبالمعنى الحصري الذي تقصده هنا يراد بالسر: "شئ (أو علامة) محسوس وضعه الله، يعني النعمة ويدل عليها بل يعطينا اياها فعلاً".

قيمة الأسرار

قال القديس برنردس: الأسرار علامات مقدسة، لأنها بها نستعمل بعض أشياء مقدسة تدل على اشياء أخرى غيرها، ويمكننا أن نوضح ذلك بمثل بسيط فنقول: اذا أهدي شخص الى شخص آخر خاتمًا، وليس له غاية أخرى سوى تقديم هدية، فليس للخاتم قيمة أعظم من قيمة المادة المصنوع منه الخاتم. أما اذا أعطاه الخاتم كعربون للارث الذي سيتركه له، عندئذ يكون للخاتم، كخاتم فقط قيمة محدودة، لكن اذا اعتبرنا الختم، من حيث أنه يعطي ذلك الشخص المهدي اليه حقًا على الارث، فتصبح قيمته كبيرة جدًا، وتساوي أضعاف أضعاف قيمة مادة الخاتم. وكذلك شأن الأسرار، فان الأشياء الخارجية المنظورة (كالماء في المعمودية والخبز في القربان)، بحد ذاتها ليس لها قيمة كبيرة. أما اذا اعتبرنا النعمة الغير المنظورة، التي تعني العلامة الخارجية وتدلل عليها وتحديثها (أي محو الخطيئة الأصلية في المعمودية وتغذية النفس بجسد المسيح ودمه في سر القربان) فتكون قيمة الأسرار عندئذ فوق كل تقدير.

لا يقلل من قيمة السركون خادمه خاطئًا

بما أن منشئ الأسرار ومانح النعمة في الأسرار هو المسيح نفسه. على يد الخادم (أي الكاهن) فلا يقلل من قيمة النعمة أن يكون الخادم قديمًا أو خاطئًا، صالحًا أو شريرًا، كما لا يؤثر على صحة المريض أن يصف له الدواء طبيب صحيح الجسم أو سقيم، بشرط أن يكون الدواء شافيًا في الحقيقة للمريض، لأن الشفاء ليس من الطبيب بل من الدواء.

قالت القديسة بروجينا: كما أن البواب يستطيع أن يفتح الباب، سواء أكان أبرص أم سليم الجسم، بشرط ان يكون انفتاح معه، كذلك يجب أن نقول أن الأسرار تمنح الذين يقبلونها النعمة، سواء أكان الكاهن صالحًا أم خاطئًا. نعم أن الكاهن يرتكب الخطيئة نفاق جسمية جدًا، اذا تجاسر على منح السر وهو بحالة الخطيئة المميتة، الا أن السر الذي يمنحه صحيح، ويعطي من يقبله بالاستعدادات المطلوبة النعمة: كما أن النقود لا تنقص قيمتها اذا اعطانا اياها رجل خاطئ، ولا تزداد اذا أخذناها من رجل تقي. وكذلك الخمر الجيدة لا يتغير طعمها ولا تنقص فائدتها، سواء أشريناها في قدح من زجاج أم في كوب من فضة.